Available online at http://jgu.garmian.edu.krd

Journal of University of Garmian

https://doi.org/10.24271/garmian.2023.10263

آراء نالي الشهرزوري العقدية في باب الإلهيات - دراسة تحليلية-

زانا ناجي عبدالله، صباح محمد البرزنجي

قسم أصول الدين, كلية العلوم الإسلامية, جامعة السلمانية, اقليم كردستان العراق

Article Info

Received: June, 2022

Revised: July, 2022

Accepted August, 2022

Keywords

العقيدة، والكلام الإسلامي، نالي، الإليهات، الإرادة والفعل الإنساني.

Corresponding Author

Zana.abdalla@univsil.edu.iq

Smnbarzngi@yahoo.com

الملخص:

قد نرى عبر مسار تاريخ الكورد علماء وأدباء وشعراء كُثرا قل نظيرهم في الآفاق، ولمع من بين هؤلاء شاعر باسم الملا خضر الملقب بنالي، يعد أحد المؤسسين للمدرسة الشعرية الكوردية السورانية البابنية وركناً من أركانها، المدونه باللهجة السورانية في القرن التاسع عشر. وقد قمنا بدراسة متواضعة عن مصطلحات عقدية أو كلامية تم استخدامها في ديوانه، ولم نرَ –وإلى الآن- أحدا قام بدراسة حولها؛ لذا نعتقد أنه من المهم جدا أن نقوم نحن بأداء هذا الواجب الديني والأدبي.

لا شك أنه في ظل تأثّر نالي بقراءاته للأدبين العربي والفارسي الذاخرين بالموضوعات اللاهوتية والدينية بما فيها العقائدية، قد نظم العديد من القصائد بحق الصفات الإلهية بما فيها الجانب التوحيدى والمسائل الإيمانية المهمة فضلا عن الحديث في الإرادة والفعل الإنساني، والذي حفّزه أكثر للقيام بنظم أبيات كثيرة في هذا الباب وطرز بها ديوانه، ينعكس في شدة روابطه الإيمانية والثقافية والفكرية المتينة التي استلّها من لمعات نور القرآن الكريم والأحاديث النبوية (ﷺ).

لذا؛ نسعى ن طريق هذه الدراسة معرفة مدى تأثرّه بالعقيدة، فضلاً عن إضافة معرفة راقية على نتاج فكر الشعب الكوردى حول واحد من أبرز شعرائه، والإجابة أيضا على تساؤلات كثيرة حول ما تثار بشأن الأدبيات التي تخص العقيدة والإشارات الكلامية المهمة. وقد أدركنا أنه كان شاعرا ملهما ورجلا عالما في هذا الميدان وله اليد الطولى في كيفية انتقاء المصطلحات العقدية والكلامية وتنسيقها في بيت شعري، حتى في أحايين عدة وقع في مناقشات كلامية بحتة مع أقرانه. ومن الجدير بالذكر أن الدراسة تضمنت مبحثين رئيسين وكل منهما منقسم على مطلبين مع التطرق إلى أهم النتائج التي وصلنا إليها. فاللهَ نسأل أننا استطعنا أن نضيف معلومة جديدة ولو بسطر على تاريخ فكرنا الكوردي.

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد؛ فإن دراسة العقيدة الاسلامية لاسيما من خلال أبيات واحد من نوابغ شعراء الكورد أمر صعب المنال؛ لكونه رجلا ساقه القدر إلى محطته الأخيرة، فقبل الوصول إليها ترك إرثا بكتاباته ومآثر بأقلامه، فوَقعت مصطلحاته وكلمات أبياته العقدية تضاهي أو تفوق ما تفعله يدا أقرانه، فأسس بدوره لمفاهيم أخرى أبرزها العقيدة والعلم والخوض في الميدان الشعري. وقد أرسى بواقعه مبدءا: أكتب الآن وسيظل اسمك براقا طيلة حياتك، أصبحت صفة الشاعر المغوار ملاصقة به، ولمن اعتبر أيضا أن الشعراء يبدعون عوالم في أعماقهم. هو مَن جمع بين مفارقات الآراء والأوجه في مآثره، عدّ أن المستحيل ليس حقيقة، بل المستحيل عنده هو لا شيء. وهو نزل ترسيم العقيدة الإسلامية من خلال أبياته به إلى أرض الواقع تجسيدا وممارسة، وارتفع باسمه مشهورا في ميادين الشعر والأدب والعرفان والكلام الإسلامي. إنها صفحة واحدة من كتابات خطتها بما دبجته يداه، حيث لم يتطرق إليه إلا القليل. وأخيرا وليس آخرا؛ لا يموت من ترك موقفا علميا راسخا، لأن الحياة في مجملها مواقف.وإذا نظرنا نظرة فاحصة إلى سير الأدبيات الكوردية، نجد أن عناصر العقيدة والكلامي الإسلامي واضح كل

الوضوح، إذ نجد أن كل مصطلح استخدمه نالي يحافظ على الأسس الثابتة التي أرستها العقيدة.

- **أهمية الموضوع:**

- إن أي باحث يرسي أقدامه في تاريخ أدبيات القرن التاسع عشر سيما شخص مثل نالي الشهرزوري، يرى جليا أن تأثير العقيدة يعطي مساحات كثيرة للأدبيات في ذلك الحين، ونحن بدورنا نريد تلمس تلكم المصطلحات والكلمات التي هي بصدد تلك الظاهرة المرسومة ونسعى أن ندرسها بشكل أكاديمي.
- نسعى من خلال دراسة كهذه أن نضيف معرفة راقية على نتاج الفكر البشري.
- والإجابة على تساؤلات كثيرة حول ما تثار بشأن الأدبيات التي تخص العقيدة والإشارات الكلامية المهمة، فضلا عن العمل الجاد على كشف مفاهيم كثيرة تدل على نبوغ علم الشاعر نفسه.

- **سبب اختيار الموضوع:**

- لأن جميع المهتمين بالأدب وغيرهم أيضا لم يتطرقوا إلى هذا الموضوع خصوصا في مبحث مهم مثل الإلهيات لدى نالي.
- القيام بعرض مشتمل ومختصر على موضوعات عديدة متعلقة بالعقيدة الإسلامية من خلال ديوانه.
- لإغناء المكتبات الكوردية فضلا عن إضافة معلومة مهمة إليها.

- **مشكلة الدراسة:**

- صعوبة أسلوب نالي في كتابة الأبيات الشعرية شيء غاية في الروعة والبيان، وأن القيام بترجمتها إلى اللغة العربية أصعب لكثرة الألغاز الشعرية المتواجدة فيها، بحيث يصبح من العسير الحصول على النتيجة إلا بعد جهد جهيد.
- إن المصطلحات والمفاهيم العقدية والكلامية التي أشار إليها نالي من خلاله ديوانه، تراث ضخم، يحتاج إلى تتبع واستقصاء، ويشبه عمل الباحث على آرائه العقدية فضلا عن الكلامية عمل من ينقب عن كنز مدفون في قطعة أرض واسعة.
- إتساع معنى أبياته، وتشعب موضوعاته وجوانبه.
- إن من نظر في ديوانه، يجد أنه لا يخلو من استطراد، وتوسع الفكر، وتفريع؛ حيث يعز على القارئ متابعته.

- **الدراسات السابقة:**

لم نعثر بعد بحث أو دراسة في المكتبات المحلية وغيرها من المكتبات عبر المواقع الالكترونية، على رسالة جامعية أو كتاب خاص باسم "**آراء نالي الشهرزوري العقدية في** الإلهيات-دراسة تحليلية-" والتي نحن بصدد دراستها، ولكن هناك دراسات قليلة وكتابات كتبت حوله في ميادين أخرى أو مهرجانات من المناسب أن نشير إلى بعض منها، كالآتي: **(نالي و زمانی یەکگرتوو**: كەريم شارەزا. **میژووی ئەدەبی کوردی**: مارف خەزنەدار. **ئەنجومەنی ئەدیبان**: ئەمين فەيزى بەك ١٩٨٣. **شیعر و ئەدەبیاتی کوردی**: رەفيق حيلمي، نشر عام ١٩٨٨. **نثر الجواهر والدرر. نزهة الفكر**: للخضراوي. **نالی له ڕوانگەی سەپان کوردییەوە**: عەبدولحەمیدی حوسەینی. **چەپکیك له گوڵزاری نالی**: مەسعوود محمد. **دەستە و دامانی نالی**: مەسعوود محمد ..).

- **منهج الدراسة:**

اعتمدنا في الدراسة هذه؛ على المنهج التحليلي، فقمنا بعملية تقسيم أو تجزئة المصطلحات العقدية والكلامية الموجودة إلى العناصر الأولية المنتجة التي تُكَوِّن؛ لتسهيل عملية الدراسة حولها.

- **خطة الدراسة:** يمكننا أن نقسم الدراسة على مبحثين رئيسين مع المطلب الخاص بهما، مع التطرق إلى نتائج الدراسة والمصادر والمراجع:

المبحث الأول: نالي وسيرته ا لشخصية والعلمية

المطلب الأول: حياته الشخصية

المطلب الثاني: حياته العلمية

المبحث الثاني: الموضوعات العقدية من خلال أبياته في باب الإلهيات

المطلب الأول: أبياته حول أسماء الله تعالى وصفاته

المطلب الثاني: مسألة الإيمان عنده

النقطة الأولى: مفهوم الإيمان

النقطة الثانية: وحدانية الله تعالى

النقطة الثالثة: الإيمان وأنواره

المطلب الثالث: الإرادة أو القدر، والفعل الإنساني

المبحث الأول: نالي وحياته الشخصية والعلمية

المطلب الأول: حياته الشخصية

أولا: ولادته و وفاته

الملا خضر نالي؛ هو ابن أحمد شاويس من سكان قرية **خاكوخول** من سهل شهرزور من عشيرة ميكائيل، وكان شاعرا عبقريا بالفطرة فى اللغات؛ الكوردية والفارسية والعربية والتركية، وله ديوان شعر رقيق، طبع قسم منه فى بغداد سنة 1350هـ -1931م، وكتاب آخر باسم (مناظر الإنشاء) حيث قدّم له نالي وشرح أبياته من العربية إلى الفارسية. ومعلوم لدى الجميع أن لقبه هو نالي، الذي أصبح تخَلُّصَه الشعري أيضا. على الرغم من اختلاف كثير حول ولادته و وفاته إلا أن أغلب الباحثين ذهبوا إلى أن ولادته كانت في (١٢١٥م/١٨٠٠هـ)[1].

ولكنّ هناك بيتا وحيدا لنالي يساعدنا كثيرا في تحديد تأريخ ولادته بحسب الحروف الأبجدية، و سجله لنا الملا محمد الخاكي، حيث قال فيه **نالي**:

له خاك و خۆڵەوە هاتووم لەوێ کەوتومەتە بەر
سیرڕی سوەیدای بوونەکەم ضوء کالقمر

معناه: **جئت من خاكوخوّل وثمة مسقط رأسي**
وأن سر سويداء وجودي مضيء كالقمر

حيث إن كلمة "ضوء كالقمر" حسب الحروف الأبجدية تساوي السنة 1197_1198 هجرية= 1783_1784 ميلادية. وما يتعلق بتاريخ وفاة نالي، فنجد في السنوات الأخيرة ومن خلال كتاب وثائقي عثماني قيم، يؤكد لنا أن وفاته حسب وثيقة عثمانية عبارة عن 1877/11/23م في أسطنبول.[2]

ثانياً: أسرته:

إن جميع المصادر التي تطرقت إلى حياته تشير إلى أنه لم يتزوج، فتسمية (حبيبة) لم تعالج البتة مشكلة وجود أو عدم وجود زوج له، حيث ذهب كثير من مثقفي الكورد منهم الأستاذ مسعود محمد إلى أنه لم يتزوج[3]، ولكن كشفت الوثائق العثمانية أنه تزوج بامرأة تسمى (زينب)، وهي امرأة من أصل حجازي، كونها لم ترافق نالي في أي من أسفاره التي قام بها نالي إلى أسطنبول وأستانة ودمشق وقبل ذلك إلى سنندج ومنها إلى الحج، لذا ظهر لنا جليا أن جميع ذلكم أضغاث أحلام ليست إلا. والوثيقة أشارت بأنها طالبت بدورها تقاضي راتب نالي _بعد وفاته_ من مديرية خزينة مكة المكرمة التابعة لولاية الحجاز، حيث قامت المديرية بتوجيه كتاب رسمي إلى الجهة المعنية، وهي وزارة المالية في أسطنبول كي تصدر أمرا بخصوص صرف راتب نالي المقدر بمبلغ أربعمأة قرش لها.[4]

ثالثاً: **عصره:**

لا يخفى على الخبير أنّ منطقة شهرزور، كانت منذ قديم الزّمن مركزاً من مراكز العلم والأدب والشعر، وأنّ مدينة السليمانية كانت منذ بنائها مدينة علم، وينبوع أدب، ومنبت تحول، ومجمع أفاضل، ومهدا من مهود الثقافة الإسلامية، ومركزاً من مراكز تراثها، كغيرها من المدن والحواضر الإسلامية، فالمكتبات العامرة والمخطوطات الإسلامية وغيرها النادرة فيها أكبر شاهد على ذلك، وكان أمراءُ بابان وحكامها في ذلك الوقت يحبون العلم والأدب، ويغذون الحركة الثقافية، ويوسعون دائرة المعارف، فكانت العلوم في زمانهم رائعة وسوق الأدب في ديارهم رابحة، فشيّدوا المدارس، وساعدوا طلاب العلم على أداء مهمتهم، حتى شمخت دولة العلم في زمانهم، وارتفعت أعلامه، فكانت مدينة السليمانية في ذلك العهد تعد بحق من المدن العلمية والأدبية ، فيها المدارس العظيمة والمكتبات المتنوّعة، ولا يخلو جميع هذه الأشياء من تأثير الحالات السياسية والاجتماعية وغيرها، حيث كانت كوردستان في مستهل القرن التاسع عشر مقسمة بين دولتين وهما الإمبراطورية العثمانية وإيران، حيث يعود أصل هذا التقسم إلى العصور الأولى من القرن السادس عشر خصوصا بعد الفشل القاسي الذي واجه شاه اسماعيل الصفوي في حرب **چالديران،** وقد بلغ تعداد سكان الأكراد العام آنذاك إلى 4_5 ملايين نسمة، وأن تقسيم كوردستان بين إيران وتركيا لم يكن يعني أن أيا من الدولتين قد حققت السيادة التامة على القبائل المحلية في بداية القرن التاسع عشر لاسيما مناطق أمارة البابانيين الذين عاصروا نالي الشاعر. وفي الحقيقة ظلت السلطة في أيدي رؤساء أكبر وأقوى العوائل وكذلك في أيدي قادة القبائل.[5]

إن الظروف التي عاشها نالي سيطرت عليها سياسة توطيد السلطة المركزية التي نهجتها حكومتا السلطان والشاه بقوة السلاح، والتي عملتا لها بنشاط خاص في العقود الأولى من القرن التاسع عشر حيث لاقتا المقاومة الضارية من قبل الأكراد الذين دافعوا بجزم عن استقلالهم. فقبائل كوردستان الجنوبية بقيادة عبدالرحمن باشا من السليمانية ردت بعنف طوال ثلاثة أعوام (1806_1808م) [أي في زمن عنفوان شباب **نالي** الشاعر] هجمات الجيوش التركية.[6]

أما بالنسبة للحالة الاجتماعية فهناك حالة خاصة مثيرة للاهتمام لدى الأكراد في ذلك الحين؛ وهي أن جميع المؤلفين تقريبا الذين قدموا وصفا زاهيا في القرن التاسع عشر لميل الأكراد إلى الغزوات، يتكلمون في نفس الوقت ومباشرة عن طبيعتهم الطيبة المرحة، وإكرامهم للضيوف وتفاؤلهم تجاه الآخرين، حيث إن الناس يضعون الغنائم على الطريق ويجلسون معا مبدين ايات كرم الضيافة؛ لذا فإن السائح المجرب في الشرق لن يداخله أدنى رعب في هذه البلاد حيث تسود النية الحسنة. فلدى ظهور الغريب المحتاج لشيء ما ويقترب من إحدى طوائفهم، يخرج إليه بعضهم ويقولون: أهلا وسهلا، اعتبر نفسك في منزلك، نحن ننتظر بفارغ الصبر الساعة التي فيها نستطيع أن نستضيفك. وشواهد متوفرة حول الحالة الاجتماعية للكرد في تلك الحقبة التاريخية، حيث لم يستطع أحد المطلعين الذين تحدثوا عن أفعال الكرد المقيتة أن يدلنا على مثال واحد من أعمال الاغتصاب التي كان شاهدا فيها أو غدا ضحية من ضحاياها، ولاشك أنه إذا حلف الكردي كلمة الشرف بحفظ أموال الغير أو إذا وعد بحفظ السر الذي أودع إليه، فهو يفضل التضحية بحياته على أن يوافق على نقض الحلف. وبشهادة النساطرة والكلدان قبل بداية استفزازات السلطات التركية في الأربعينيات من القرن التاسع عشر التي أدت إلى الصدام بين الأكراد والنسطوريين، عاش

القومان في سلام جنبا إلى جنب خلال أربعمأة عام وتمسكوا بالعلاقات الاجتماعية والثقافية الحسنة.[7]

المطلب الثاني: حياته العلمية

يبدو أن نالي كان يحبّ العلم منذ نعومة أظفاره، وله طموح يتسامى مع عزمه ونشاطه الشعري، ولعلّ النبوغ والطموح أبرز سمة تميّزت بها شخصيّته العلمية، فقد عرف في الوسط العلمي بذكائه وولعه في طلب العلم، فأقام على التعلّم والتعليم ولايبالي بالكوارث والمشاكل الّتي تصبّ عليه كالوابل في زمن أمراء البابانيين، بل حبّاً وشوقاً ينتهي شوطاً بعد شوط من كعبة آماله وأمنياته، وفاق أقرانه وزملاءه لمثابرته وعمله المتواصل ونشاطه المستمرّ، وأخذ حظّاً وافراً من العلوم الإسلاميّة كالنحو والصرف والمنطق والكلام والهندسة والفلكيات، حيث زاول شؤون الملا في كل من سنندج و سابلاغ و زرديواو و قرداغ و حلبجة والسليمانية، وفيما يأتي نذكر أهم الشيوخ الذين قرأ عليهم العلوم العقلية والنقلية:

أولا: شيوخه:

- قرأ في بلدة (تكية) في منطقة قرداغ الرياضيات لدى الشيخ والملا علي، وهو جد الشيخ باباعلي المشهور، وكان عالما نحريرا بالعلوم النقلية والعقلية.[8]
- ودرس في السليمانية على الملا عبدالله رِهش (الأسود) في مسجد السيد حسن، ثم قصد بيت الله الحرام في سنة ١٢٠٠هـ.[9]
- كذلك قرأ في السليمانية على الشيخ عبدالله الخرپاني.[10]
- قرأ أيضاً عند الملا محمد زكي ابن الرسول، وهو من سلالة (رسول زكي السردشتي -وفي رأي- چوارتايى)، وكان عالما شهيرا ورياضيا ماهرا.[11]

ثانيا: أقرانه: فيما يتعلق بأقرانه أو معاصريه، يمكننا أن نشير إلى وجود علماء أفاضل كانوا معاصرين له أو تدارسوا العلوم النقلية والعقلية معا، منهم:

- المفتي محمد فيضي الزهاوي.[12]
- والملا عمر= الشيخ محمد ابن الخياط، والذي ولد في (1213هـ) في قرداغ وتوفي فيها سنة (1281هـ) حيث ترك مؤلفات رائعة بعده والتي كتبها جلها باللغة العربية.[13]
- ضياء الدين خالد بن أحمد بن حسين مولانا خالد النقشبندي.[14]
- عبدالرحمن بن محمد بگ بن أحمد بگ صاحيبقران المعروف بسالم.[15]
- مصطفى بن محمود بگ بن أحمد بگ المشهور بكوردي.[16]

ثالثا: تلاميذه: لقد كان نالي من طلبة العلم البارزين، ومن العلماء المتمكنين المشهودين، لذلك توافد عليه طلبة العلم لنيل العلوم نقليّها وعقليّها، غير أننا لا نملك معلومات وافية عمن أخذ عنه، اللهم إلاّ قلة من طلبته، منهم:

1. (ماه شرف خانم)، درسها نالى في بيتها عندما كان في سابلاغ وذلك بطلب من أبيها (أبي الحسن بك)،[17] وهي مشهورة بـ(مستورة خانم) الأردلانية المتوفاة (1263هـ 1847م) زوج خسروخان أمير أردلان، أسرتها معروفة بـ(قادري)، كان لها نصيب كبير في العلم والأدب وشهرة واسعة في كوردستان إيران. وديوان أشعارها يحتوي على عشرين ألف بيت، كان تخَلُّصُها الشعري (مستورة).[18]
2. عبدالله ابن أبي الحسن بك، الذي كان أخا لمستورة خانم.[19]

المبحث الثاني: الموضوعات العقدية من خلال أبياته في باب الإلهيات

قبل الخوض في الحديث عن أبيات نالي عن أسماء الله وصفاته، يمكننا أن نسلط الضوء على مفهوم العقيدة، وهي ما انعقد عليه القلب، وصدق به واطمأن إليه وأصبح يمينا عندما لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك، والاعتقاد بهذا المفهوم اللغوي العام قد يكون نتيجة لتوهم غير حقيقي أو نتيجة لدليل صادق، ومن ثم فإن العقيدة قد تكون صادقة وقد تكون باطلة وفاسدة. أما بالنسبة للإليهات فهي عبارة عن الدراسة المنهجية للطبيعة الإلهية، أو العقيدة الدينية، وتتعامل أيضًا مع الإبستمولوجيا الدينية، وتسأل وتسعى للإجابة على سؤال الوحي. يتعلّق الوحي بقبول الله أو الآلهة أو المعبودين، ليس لأنه متعال أو فوق العالم الطبيعي فحسب، بل لأنه أيضًا على استعدادٍ وقادرٌ على التفاعل مع العالم الطبيعي، وعلى وجه الخصوص، الكشف عن أنفسهم للبشرية. في حين تحوّلت الإلهيات إلى مجالٍ علماني، ما زال معتنقو الديانات يعتبرون الإلهيات نظامًا يساعدهم على العيش وفهم مفاهيم مثل الحياة والحب ويساعدهم على عيش حياة الطاعة للمعبود الذي يتبعونه أو يعبدونه.[20]

المطلب الأول: أبياته حول أسماء الله تعالى وصفاته

من المسلم به أن معرفة حقيقة الذات الإلهية وصفاته العلى أمر ليس في مقدور العقل الإنساني أن يصل إليه، لأن لهذا العقل حدا ينتهي إليه، كما أن للبصر حدا ينتهي إليه. وليس ذلك عيبا في العقل وتقصيرا منه، وإنما هو بطبيعته البشرية التي منحها الله تعالى له، ومن ثم ورد النهي عن محاولة التفكر في الذات الإلهية، لأن ذلك محاولة عقيمة. وليس معنى ذلك أننا نجهل إلهنا وخالقنا، أو أننا نعبد من لا نعرفه، فإن الله معروف عند عباده بصفاته، وإن احتجب عنهم بذاته وحقيقته، ولذلك يمكننا أن نشير إلى تقسيم

الصفات التي تلمح إليها نالي في ديوانه، حيث قسمها العلماء إلى ثلاثة أقسام:

1. **صفات نفسية**: وهي الوجود، وهو نقيض العدم، وإدراك معناه بديهي لا يحتاج إلى تواضع، وسميت نفسية لأنها تدل على الذات دون شيء زائد عليها.
2. **صفات سلبية**: وهي ما كان مدلولها سلب صفة لا تليق به تعالى، التي تضمنت خمس صفات هي: الوحدانية، والقدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، وقيامه تعالى بنفسه.
3. **صفات المعاني**: هي ما دل على معنى وجودي قائم بالذات، تستلزم له حكما معينا، والصفات التي أقر العلماء عليها هي: القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام،[21] واختلفوا في صفة الكون. وهذه الصفات نفسها صفات معنوية و هي الأوصاف المشتقة من صفات المعاني السبع المذكورة، وهي كونه تعالى: قادرا، ومريدا، وعالما حيا، وسميعا بصيرا، ومتكلما.[22]

وهذه الصفات قد أشار إليها نالى في أماكن كثيرة، حيث أشار إلى جاذبية شمس الجلال التي انعكست على جميع سلاطين وملوك الدنيا، حيث يقول:

زەرڕاتـی عوکوسی کەششی میهری جەلالن
وا دێن و دەچن سەرزەدە سوڵتان و شەهەنشا
(ل٥٦، ب١)[23]

أي: إن ذرات جاذبية شمس جلاله _سبحانه_ في الإياب والذهاب؛ انعكست بدورها على جميع سلاطين وملوك الدنيا.

ولكن قد تلمح نالي في موقع آخر إلى صفات الطَّوْل، والقوة، والقدرة، والمشيئة، والكينونة، جميعها في بيت واحد، وهي من صفات المعاني، وهو يقول:

لا حول ولا طـول ولا قـوة إلا
بالله، له القدرة، والكائن ماشا

وأشار في ديوانه أيضا إلى أمره التكويني حينما يحاور مع آلة الناي "نەی" متستخدما فيه كلمة "كن" وهي من الصفة التكوينية، حيث يقول:

نەی كه صاحێب سیرڕه سەر تا پا به ئەمری "كن" كونه
بـاتینی "قـف قـف على سري" بـه زاهـیر قـەف قەفه
(ل٣٧١، ب٢)

أي: أي: الناي من راسه الى قدمه مثقوب بأمر (كن) ، لأن له سراً .و في باطنه يقول : قف قف على سري ، وان كان في ظاهره له مفاصل! والبيت فيه إشارة واضحة إلى الآية الكريمة: (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) [يس: 82]

وقد ذكر في وصف محبوبه اسم الباريء كونه تعالى أعطاه الحسن والجمال:

ما عادلك البان، و لا اللينة لينا
إذ عدلك الباريء حسنا وجمالا
(ل٩٠، ب١)

وذكر في مكان آخر اسم الفتاح إذ يقول:

قەترێكه له بەحری كەرەم و ڕەحمەتی فەتتاح
نەك ئارەقی كەرمی عینەب و شەربەتی توففاح
(ل١٣٢، ب٣)

أي: ولا تظنوا أن الشراب الذي ساقته المحبوبة في المجالس عبارة عن شراب العنب والكرم والتفاح، وإنما هو قطرة من بحر رحمات الله سبحانه حيث يفتح الله أبواب رحمته الواسعة على جميع المخلوقات.

وأشار إلى إسم الصبور مناديا به:

سووتا ڕەواقی خانەیی صەبرم دڵ و دەروون
نەیماوە غەیری گۆشەیی زیكرێكی یا صەبوور
(ل١٤٢، ب٣)

أي: لقد احترق رواق صبري، و لم يبق لقلبي و باطني غير أن ينزوي في زاوية بذكر يا صبور!

ويلمح في مكان آخر إلى وجهه تعالى واسم النور، إذ يقول:

سیپی نەزیرە هەموو موو لە سیرڕی "وجه" لە سەر
مونەووەرە، لە تەرەف نوورەوە بووە بە نەزیر
(ل١٧٠، ب١)

أي: بات جميع شعر رأسي شيبا وأصبح نذيرا حيث يذكرني بالموت من خلال الآية الكريمة التي تقول (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام) [الرحمن: 27].

ويشير أيضا في مكان آخر إلى وجهه سبحانه ومصطلحي اللون واللطافة:

تەلبیسی نییە ئەو كەسە دێوانەیی ڕووتە
بێجارە نەما غەیری حەیاتێكی لە بەردا
ڕەنگی نییە ڕووخسارەیی ڕەنگین و لەتیفی
ڕۆشن بووە ئەم نوكتە سەباتی لە بەسەردا

أي: أن وجهه وسيمائه الجميل لم يكن له اللون والشبيه كونه أكثر شفافا ولطافة، ولم تتمكن العين من النظر إليه. وقال الشيخ المدرس: إن مصطلحي اللون واللطافة هما من قبيل المصطلحات الكلامية يستخدمان لجسم الملائكة أيضا كونه جسما شفافا ولطيفا ولم يُرَ.[24]

وأشار في بيت آخر إلى مشيئة الله تعالى وإذنه فضلا عن تسميته تعالى بالحق ومجاورته له، وصفة المشيئة هي من

صفات المعاني أو المعنوية والتي هي مرادفة لصفة الإرادة، حيث يقول في بحر الرمل:

بۆ جیواری حەق له هەرجێ سیدق نییەت کافییه
من لــه "بیت الله" ئینشائەڵڵا "بأذن الله" دەڕۆم
(ل٢٤٦، ب٢)

أي: يكفي لمجاورة الحق في أي مكان أن تكون صادق النية، وليس شرطا أن يكون ساكنا لمكة أو المدينة؛ ولذلك قصدت بيت الله الحرام وفقا لمشيئته وإذنه.

وذكر صفة البقاء التي هي من الصفات السلبية لله تعالى حيث يقول:

هەموو زەڕاِق میهری ڕووته باقین
خــــودامان بۆ بەقایه لێره لاچین (ل٢٨٥، ب٢)

أي: أن جميع ذرات حبك ترافق محياك بغضا وحقدا ولعل أن تدركنا؛ ولكن لنا إلها باقيا بإمكانه أن ينجينا من هول مقتك وحقدك أيضا.

وفي مكان آخر يشير إلى صفتي الحي والأكبر، أولها هي من صفات المعاني أما الثانية تفضيل من صفة الكبير _سبحانه_:

ئەو سێبەره که مەزهەری حویی خوداییه
کەنزی موتەڵسەمی نەزەری حەیی ئەکبەره
(ل٣٤٩، ب١)

إن ظل النبي (ﷺ) منبع انعكاس حب الله تعالى له وميدانه الساطع، وهو كنز أسطوري فيه تجلى نظر الله ورؤيته.

أما بالنسبة لصفات الرحيم والحليم والمنان فقد استخدمها نالي في ديوانه. أما بخصوص صفة المنان فهي من أسماء الله الحسنى الثابتة بالحديث الشريف والذي يقول (ﷺ): "اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم".[25] فذكرهما نالي:

ئەگەر چی کوردی دوری شارەزووری قەسوەتم ئەمما

وەسیلەم تەیبەو و حیلمی شەفیع و فەزڵی مەننانه
(ل٤٢٧، ب٤)

معناه: رغم أني كردي بعيد من شهرزور القسوة، لكن وسيلتي هي طيبة وحلم الشفيع وفضل المنان.

وكذلك يقول عن صفة الرحمة ذاكراً فيه باب رحمة الله:

دەری ڕەحمەت کــه به حری موحیتی عاسییه نالی
تیا جان و تەن ئوفتادەی شەپۆڵی سەیلی عیسیانه
(ل٤٢٩، ب٢)

أي: أيا "نالي"؛ أن باب الرحمة بمثابة البحر المحيط للعاصي ، فروحك و جسدك المقعد بسبب سيل المعاصي، لا بد ان يجرفهما هذا البحر الى داخله!

وذكر مصطلح "يد الله وصبغة الله" اللذين هما في مصاف الصفات الخبرية:

به وەقتی تەلبییه مەستی شوهوودی "صبغة الله" بێ
به گاهی تەروییه سیرڕی "يد الله" دەستیاری بێ

أي: فليسكر عند التلبية بشهود صبغة الله، و ليكن سر يد الله مساعداً له في وقت التروية!

استخدامه لكلمتي "يد الله و صبغة الله" هما من قبيل الصفات الخبرية ومقتبستان من آية (يد الله فوق أيديهم) [الفتح: 10] والآية الكريمة: (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة) [البقرة: 138]، حيث فسرها الملا عبدالكريم بأنها قوة من الله ومساعدة منه.

(ل٥٢٧، ب١)

وفي موقع آخر يقول:

شتێکه بێ شەبیه و جینس و فەسڵ و کەشف و تەقریره
مـوبەڕڕایه لـه تــەقریر و حــەدیسی حــادیس و ڕاوی
(ل571، ب1)

معناه: قد وصف نالي الله سبحانه وتعالى، ويشير إلى أن الذي لا تزال تحيّرتَ في وجوب جوده وضلِلْتَ في كنهه، هو الذي ليس كمثله شيء، حيث لم يستطع أحد الكشف عن حقيقته لا عن طريق العلوم العقلية والنقلية ولا عن طريق علم الكلام والمنطق فضلا عن الأحاديث النبوية. وهذا من قبيل الصفات السلبية والتي هي مخالفة للحوادث كونه لم يشبهه شيء.

ويقول أيضا:

نەزانینت لەبەر عیجزه نەوەك جەهله که ئەم چشته
قــەدیمه نایەته تــەقریری قەولی حاکیی و ڕاوی
(ل571_572، ب1)

يلمح إلى أنك إن لم تدرك كنه الله سبحانه، فليس لجهلك بل لعجزك المستديم على إدراكه الحقيقي، فهو سبحانه قديم أزلي، لم يكن بإمكان أحد الخوض في تقرير ذاته. وهذا أيضا من قبيل الصفات السلبية التي تسلب من الله تعالى صفة لا تليق به، وهي القدم والأزلية.

وأشار في مكان آخر إلى صفتي الإحياء والإماتة وهما من الصفات الفعلية:

بـرگرد درخت نوشته: "يحيي و يميت"
"من مات من العشق، فقد مات شهيد"
(ل595، ب2)

أي: كُتِب حول وجهك الكريم: يحيي ويميت، إذا يعطي قبلة بشخص ما سوف يحييه وينعش آماله، أما إذا رغب عنه فيميته قهرا وحزنا، ومن مات بويلات العشق فقد مات شهيدا.

ومن قبيل الصفات النفسية التي هي الوجود، نجده يقول:

حەزرەتی هەیبەتە نەك غەیبەت و رەیبەت نالی
أللە أللە، چ حزوورێكە! كە ئەسڵەن نییە باس
(ل١٩٣، ب١)

يتكلم نالى عن حضور الله سبحانه وتعالى في مجالس ذكر محبيه، المجلس هذا محضر خوفهم من الله، فوا عجبا كم كان حضورا مهيبا حيث لا حديث سوى الحديث عنه.

وقد وصف الله تعالى بأنه لا مكان له ولا زمان، وذلك من قبيل صفته النفسية:

كە مەدعووی لازەمان و لامەكان و قوربی بێچوونی
سوار بە لەم بوراقە باریقە لەم رەخشە رەخشانە
(ل٤٢٤، ب١)

أي: يا أيها النبي جنابك مدعو من قبل الله تعالى للتقرب منه حيث ليس له مكان ولا زمان، لذلك فاركب براقه اللامع والمتلألئ.

ويقول عن ذاته تعالى:

لە عەكسی زاتی بێرەنگت هەتا كەی دیدە رەنگین بێ
جونووني لەیل و مەیلی نەقشبەندی عەكسی ئەسما بێ
(ل٤٩٨، ب٢)

معناه: إلى متى أصبحت عيناي ملونتين جراء انعكاس ذاتك التي لا مثيل لها ولم يشبهها شيء ..؟! وهذا يثبت قيامه تعالى بنفسه كونه مخالفا للحوادث بصفته النفسية.

ومما سبق؛ استطعنا قدر الإمكان أن نستعرض أبياتا عديدة حول أسماء الله الحسنى وصفاته العلى. وأسمائه المذكورة والتي أجمع عليها أهل السنة والجماعة وجميع الفرق الإسلامية، وهي: ذو الجلال، الباريء، الرحيم، الفتاح، الصبور، النور، اللطيف، الحي، الكبير، العليم، الحليم، المنان، المحيي، والمميت، المقتدر. أما ما يتعلق بصفاته تعالى فذكر نالي في مظان أبياته صفات وجودية سلبية ومعنوية متأثرا فيها برأي الأشاعرة وهي: القدرة، المشيئة أو الإرادة، الحياة، البقاء، القدم، العلم، مخالفة الحوادث، قيامه بنفسه، الكون أو الكينونة. وأجمع أهل السنة من الأشاعرة على أنه لا قديم بالذات سوى الله تبارك وتعالى، ولا قديم بالزمان سوى صفاته، وأن ما ثبت قدمه استحال عدمه. بالنسبة للصفات الخبرية، فجاء بصفات خبرية عديدة منها: اليد، والوجه، والصبغة، وأوضحناها بالشواهد الشعرية.

المطلب الثاني: مسألة الإيمان عنده سنعرض في هذا المطلب ومن خلال نقاط ثلاث وباختصار غير مخل الحديث عن مفهوم الإيمان ووحدانية الله تعالى وزيادته ونقصانه ناهيك عن نور الإيمان:

النقطة الأولى: مفهوم الإيمان:

قبل الخوض في الحديث عن الإيمان وماهيته لدى نالى، لابد من الإشارة إليه من حيث اللغة. والإيمان لغة: التصديق بالقلب،[26] لقوله تعالى: (وما أنت بمؤمن لنا) [يوسف: 17]، أي: بمصدق لنا. واصطلاحا: هو "التصديق بما علم مجيء النبي (ﷺ) به ضرورة تفصيلا فيما علم تفصيلا، وإجمالا فيما علم إجمالا".[27] لكننا نرى أن تعريف الأمثل للإيمان هو "الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، والعمل بالأركان".[28] وهذا التعريف هو مذهب جمهور علماء المسلمين، وفي ذلك يقول نالي:

عــاجیزی شوكری تــەمامی نیعــەمم ســەر تا پا
كە نە ڕیش بەڵام و نە كۆسە و نە كەل و گۆج و شەلم
(ل٢٣٨، ب٢)

أي: أنني عاجز من أن أشكر جميع نعم الله التي أنعمها علي بداية من رأسي حتى قدمي، حيث خلقني بلا عيب ولم يخلقني أبرص ولا أجذم ولا أعرج ولا أشل ..إلخ. ذهب نالي في ذلك مذهب الجمهور وهو الإقرار باللسان. ويقول في مكان آخر حول الخوف والرجاء:

شەربەتی خەوف و رەجای ئەغیار و یار
ترش و شیرین هەم دەچێژم هەم دەخۆم
(ل٢٤٢، ب٣)

اقتبس مصطلحي الخوف والرجاء اللذين هما من مراتب إيمان المؤمن الحقيقي إلى صياغة بيت، وهو تعاقر شراب الخوف والرجاء بدورهما خوفا من الأغيار فينة والرجاء من المعشوق الرحيم فينة أخرى، وقد قال ابن القيم في ذلك: "معناهما، يفعل ما أمر به على نور الإيمان، راجيا الثواب، ويترك ما نهى عنه على نور الإيمان خائفا من العقاب".[29] ويقول في بيت آخر مشيرا بشكل واضح إلى هذين المصطلحين:

ڕەنگی زەرد و سووری خەوف و خەجلەتی ئاوی حەیای
وا تكا و ئەرجوو دەكەن عەفوی بكا وەك عەبدی خۆی
(ل٥٧٥، ب٢)

أي: أن ماء وجهه الأصفر فينة والأحمر أخرى يرجو الله ويلوذ به أن يعفوه مثل عبده الفقير. يجدر بنا أن نشير إلى أن البيت يتضمن اللف والنشر المرتب من المحسنات البديعية.

وقد أشار في بيتين آتيين إلى أن قلبه معمور بالإيمان، حيث بالإيمان فني في نور الله تعالى، سالكا في ذلك مسلك الصوفية ومتأثرا بهم، مثلما يقول:

لە سایەی كوفری زوڵفت دڵ "فنا في النور"ی ئیمانە

مەنێن زوڵمەت خراپە وەسڵی پەروانە لە شەودایە
(ل٤٦٢، ب١)

ويقول أيضا:

لەو کەسە دینی ئەتۆ نووری دڵ و ئیمانییە
ڕوو بە زوڵفت دامەپۆشە یەعنی کافرسانییە
(ل٤٨٨، ب١)

أي: فلا تحجب نور وجهك الكريم للمحب الذي أصبحت رؤيتك له نورا لقلبه وعامرا لإيمانه. إن كلمة (دینی) هنا بمعنى (الرؤية) بدليل كلمة (ڕوو) في الشطر الثاني.

يبدو لنا أن مسألة الإيمان لدى نالى من المسائل التي ذابت نفسه فيها ويعاتب دوما نفسه الأمارة بالسوء، حيث لا يخلو بيت ما؛ كناية أو صريحا إلا ونرى فيه إيماء أو إشارة إلى إيمانه.

النقطة الثانية: توحيد الله سبحانه

نجد أبياتا معدودة لدى نالي تشير إلى توحيد الله تعالى والإيمان بوحدانيته، وهو من مصاف مسألة الإيمان، منها ما يقول:

مونەججیم کەرگەس و لاشەی لە لاشەیئێکە، نەیزانی
کە ئەفلاکە چەند لاکە کە ئەم گەردوونە چەند دوونە
(ل٤٣٠، ب٢)

أي: لقد بلغت رتبة جهل المنجم الجاهل الذي يشبه الغراب إلى أنه لم يميز بين الجيفة المأكولة والجيفة المرمية في الفلاة، كونه يزعم أنه هو الذي يدير حركات النجوم والكواكب في الكون، ولا يعلم البتة أن الله الواحد هو الذي بيده مقاليد كل شيء، وأن الله هو الذي خلقه من العدم واللاشيء، وأن هذا الكون الذي يحسبه جزءا كبيرا ليس إلا شيئا دونيا ولم يزن عند الله جناح بعوضة. ويقول في مكان آخر:

لەم فەیزی نووڕە هەرچی کەوا نارە مردووە
بەم نەفخی سوورە هەرچی کە خاکە ژیاوە
(ل٤٥٥، ب٢)

أي: أنه في فصل الربيع هذا؛ وبقوة فيض الله تعالى، أصبحت جميع النار متأججة ومتلهبة حيث في طورها الطبيعي، بردة وميتة، وأن كل مخلوق كان أصله من التراب ينبت بمزن السماء وينعش من جديد، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على كمال صنعته الأزلية و وحدانيته الراسخة الثبوتية. ويقول أيضا:

شتێکە بێ شەبیە و جینس و فەسڵ و کەشف و تەقریرە
موبەڕڕایە لە تەقریر و حەدیسی حـــادیس و ڕاوی
(ل571، ب1)

معناه: قد وصف نالي الله سبحانه وتعالى، ويشير إلى أن الذي لا تزال تحيرت في وجوب وجوده وضللت في كنهه، هو الذي ليس كمثله شيء _ أي أنه واحد لا شريك له، ولا شبيه له_ ، حيث لم يستطع أحد الكشف عن حقيقته لا عن طريق العلوم العقلية والنقلية ولا عن طريق علم الكلام والمنطق فضلا عن الأحاديث النبوية،

ويقول في بيت آخر له حيث أظن أنه من أكثر أبيات ديوانه إبداعا وأعظمها شأنا وبلاغة، حيث من خلاله اجتاز علماء النحو والبلاغة وخالف قواعد اللغة فاقها وأربى عليها. هذا أولا؛ ثانيا: نرى في محتواه توحيدا راسخا ينشأ من إيمانه بالله تعالى:

حازری ئەمر و خیتابە دڵ ئەگەرچی مەنهییە
ڕاجیعی تۆیە زەمیری من ئەگەرچی غائیبە
(ل٣٢٨، ب٢)

أي: على الرغم من أن قلبي قد مُنع منه وصلك وليس له البتة الاقتراب منك قطعا، لكنه مستعد لأي أمر جار منك وحاضر لأي خطاب توجهه له. وأن ضميري الذي لابد أن يرجع إليَّ، يعود إليك و وجوده متعلق بك، رغم كونه عاجزا ومتحيرا لكنني آيس من أن يصبح ملكي. ما أروع من أن يرجع ضمير (أنا) وهو للمتكلم وحده إلى (أنت) المخاطب، وفي الوقت نفسه كان ضميرا غائبا. نرى بشكل واضح أنه متأثر بمدرسة وحدة الوجود لابن عربي، حيث معناها عبارة عن فكرة أفلوطينية معتقدة بأن المحسوسات ليست ذات وجود حقيقي، وأن العالم ليس سوى ظل الله وانعكاسه، وقد اكتملت االفكرة على يد **ابن عربي** حيث يقول: "إن الحقيقة الوجودية التي تظهر فيها إذن هو الحق والخلق؛ الحق من ذاتها، والخلق من صفاتها وأسمائها؛ أي: من حيث ظهورها، فسبحان من أظهر الأشياء وهو عينه".[30] على الرغم من أن هناك من يرى بأن البيت متأثر بمسألة وحدة الشهود لكن الأصح هو ما ثبّتْناه.

إذن أن الوجود الحقيقي لله تعالى، وغيره أشباه وظلال وأوهام وهذا الوجود الحقيقي يحوي كل ما عداه، وهو الظاهر بصورة كل وجود، أما الصلة بين الحق والخلق تشبه الصلة بين الواحد العددي والاعداد المرفوعة عنها، فمثلا العدد (10) عشرة تكرار لعدد (1) عشر مرات، وكذلك أوجد الواحد الحق الكثرة الوجودية المسماة بالعالم، ففصله وكثره.[31]

النقطة الثالثة: الإيمان وأنواره

كثيرا ما استخدم مصطلح نور الإيمان في ديوانه، وهذا أهم المواضع التي استعملها وأبدع فيها بشكل غاية في الروعة والبيان، حيث يقول:

لەسەر ئەو زوڵمەت ئابادی شەوی کوفرە کە تالیع بوو
سەڵا هەستا لە ئینس و جان کە ڕۆژی نووری ئیمانـە
(ل٤١٧، ب١)

أي: أن كلا من الثقلين ناديا الخلائق جميعا بمجيء يوم مبارك مسمى بنور الإيمان، والمقصود منه ولادة شخص النبي (ﷺ)، ويقول أيضا:

له سايەی ئەمر و نەهیی حەقق و باتیل بوون بە دوو فیرقە
بە میسلی فەرق رۆژ و شــەو کــە فاریق نووری ئیمانە
(ل٤١٧، ب٣)

أي: في ظل أمره للحق ونهيه عن الباطل؛ ولدت فرقتان، والفرق بينهما كالفرق بين الليل والنهار، والذي يفرق بين تلكما الفرقتين هو نور الإيمان الساطع. والبيت الآتي متعلق بالأبيات بعضها البعض كونها تركت على مصطلح "نور الإيمان"، إذ يقول:

سەعادەت بوو بە نوور و ساعیدی دەروەی هیدایەت بوو
عــەلامەت نــووری ئیمانــی بیلال و وەیس و ســەلمانە
(ل٤١٨، ب١)

أي: أن مجيء النبي (ﷺ) أعطى السعادة والنور والهداية للخلق، ورش نسمات الإيمان على قلوبهم، وأفضل دليل على ذلك؛ إيمان كل من بلال و أويس القرني و سلمان الفارسي (رضوان الله عليهم). ويقول في وصف مكة وطيبة التي هي المدينة المنورة:

چ مەککە؟ دار و بەردی قاعیدەی ئەرکانی ئیسلامە
چ تەیبە؟ ماء و خاکی مائیدەی ئەنواری ئیمانە
(ل٣٩٩، ب٢)

أي: أن جميع أرض مكة والمدينة معا بترابهما وماءهما وأحجارهما عبارة عن قواعد أركان الإسلام ومائدة عارمة بأنوار الإيمان.

وفي بيت آخر يبدأ بمناجاته الإيمانية مع الله سبحانه إذ يصرح بأن الله تعالى يعلم كافة أسرار القلب وخواطره:

مەعلوومە لەوێ ڕاز و خوتووری دڵی "نالی"
إذ حــــل بقلبي و بــأسـراره نـــــوجي
(ل533، ب2)

أي: فهناك يعلم أسرار قلب نالي و خواطره، إذ حل بقلبي و بأسراره نوجي

المطلب الثالث: الإرادة أو القدر، والفعل الإنساني

لا شك أن مسألة الإرادة والتوفيق الإنساني ناهيك عن فعله الذي ينبع منه، لها حضور ملفت لدى نالي، حيث يصرح بذلك في أبيات عديدة متتالية حول تلك المسألة، التي بدورها احتوت على مسار تاريخ الحضارة الإسلامية كلاما مسهبا لجميع الفرق الإسلامية، إذ يقول:

ئــــەحوەڵی تــەفرەقە نــەزەر تەقوییەتی سەبەب دەکا
عــــاریفی وەحدەت ئاشنا لەم قسەیە ئەدەب دەکـا
بــەندە ئەزەل بە حەززی خۆی قابیلی قیسمەتی بووە
ئیستە بە ئیقتیزای عەمەل جێگەیی خۆی تەلەب دەکـا
داری ئیراك و داری هیند هــــەردوو کە عوودە ئیسمیان
هەمـدەمی سوونەتە ئەوەم مـەیلی ئـەبووڵەهەب دەکا
سـەهم و نـەسیبی ئەسڵییە بەحسی گیاهـ و گڵ نییە
تووتنە خــەرجی سووتنە موودنە ماچی لـەب دەکا
(ل74_76)

معنى البيت الأول هو: أن أحول البصيرة ينظر إلى الأشياء الحادثة معلقا إياها بسبب خاص، وذلك يؤدي في آخر المطاف إلى الشرك بالله، كونه أحول فيرى الشيء الواحد في الوجود على شكل الاثنين، لكن الذي يعرف الله أشد المعرفة وتعلقت بصيرته بوحدته، يخجل من أن يتفوه بمثل كلام كهذا.

أما الثاني: فإن العبد سبق أن رضي بحظه أزلا حيث أجاب بـ(بلى) في السؤال الموجه له من قبل الله تعالى: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، فإذن مادامت إجابته موجبة فلابد أن لا يذكر البتة مسألة السبب والمسبب، فنرى هنا مخالفته تماما مع ما قام به أزلا، كونه ينسب الفعل إلى نفسه، أي: أن العبد خالق لفعله. ويستديم نالي في البرهنة على أن فعل العبد لم يكن متعلقا به فالله هو خالقه، وأنه لم يتعلق أي مطلوب بمقدمته وأصله؛ لأن جميع الأشياء بيده سبحانه وصادر عنه وهو يحدد مصائر المخلوقات جميعا، فيقوم في البيت الثالث بمقارنة بين شجرتي الإراك والهند، قائلا: أنظر إلى تلكما الشجرتين كونهما شجرتين طبيعيتن، في حين أولها تستخدم للسنة النبوية ولتنظيف الأسنان وإزالة تسوسها وريحها، أما الثانية فتنحاز إلى أبي لهب حيث تضرم حطبا وتحرق، وفي البيت إشارة إلى الآية الكريمة: (تبت يدا أبي لهب وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب ..) [المسد: 1_3]

وكذلك في البيت الرابع يقول: إن نصيب الخلق وسهمه محدد ولم يكن لأحد تغييره سوى الله، ولم تتعلق المسألة بالأصل والأساس، فأنظر إلى التبغ الذي كان نصيبه الحرق، أما المدنة التي ليست شيئا سوى سبب بسيط للتدخين، فلازمت مكانا مدللا وهو الشفتان ويقبلهما دوما.

في الحقيقة أراد نالي أن يقول:

- إن الفعل الإنساني متعلق بالله تعالى وهو مسبب الأسباب، ليس هناك سبب سواه، وسلك هنا مسلك الأشاعرة في قدرة الله تعالى وأفعال الإنسان، فهم وسط بين الجبرية والمعتزلة، حيث ذهب المعتزلة بأن الإنسان خلق أفعاله، والجبرية قالوا إن الإنسان مجبر في أفعاله، ولكن الأشاعرة ذهبوا إلى أن الإنسان لا يقدر على شيء، ولكن يقدر على الكسب.
- وقوله: "**ئیستە بە ئیقتیزای عەمەل** .." متأثر بنظرية أهل السنة _كما أشرنا إليها_ والأشاعرة منهم.

- ومن خلال تلك الأبيات نرى أن نالى بلغ مبلغا عاليا حيث نجد في الفلسفة والكلام الإسلامي مصطلحين هما الحضرة العلمية والحضرة العينية، أما الأولى: فهي وجود الموجود في علم الله تعالى، لكن الثانية: عبارة عن وجود الموجود في مرتبة الأعيان الثابتة، والتي لم تكن وجودا بعد. فهناك تنزلات عديدة، فالتّنَزُّل الأول يأتى من الحضرة العلمية إلى الحضرة العينية ومنها يأتي إلى الواقع، فالإنسان _بداية_ له استعدادات نفسية، فبعد هذه العملية التي يطلق عليها اقتضاء العمل، يحكم الله تعالى له شقيا أو سعيدا، وبات مؤهلا بأن تصدر من الله إرادة وجوده؛ كونه في عالم الماهيات، والماهيات متسمة بالجَعْل أيضا. إذن فإن السعادة والشقاوة تصبحان جزءا من قوام ذلك الشيء نفسه، فلما يقوم العبد به صار عمله هذا مقتضيا للسعادة أو الشقاوة.

نتائج الدراسة

من جراء حديثنا حول الموضوعات العقدية الغفيرة في ديوان نالي، توصلت الدراسة إلى نتائج جمة، سنكتفي باستعراض أهمها:

1. تلقى نالي من كبار مشايخ عصره في مختلف العلوم والفنون، حتى تأهل في العلم وانضم إلى ركب العلماء.
2. وجدنا الكثير من المسائل العقدية والكلامية من حيث أبوابُها من الإلهياتل؛ لكن للأسف غفل عنها الكثير من الدارسين والباحثين، ولم يلتفتوا إليها.
3. أن نالي برز وفاق أهل زمانه في السبك الشعري، وعندما درسناه جيدا علمنا أنه فاق أهل عصر في توظيف المسائل العقدية لاسيما الإلهية منها فضلا عن المصطلحات الكلامية بشكل غاية في الروعة.
4. لقد اهتم نالي في باب الإلهيات بمسألة الإيمان أكثر من شيء آخر.
5. أنه في مبحث أسماء الله وصفاته يذهب بطريق ثبوتهما إلى المذهب الراجح عند أهل السنة، وهو كونها توفيقية، كما يوافق أهل السنة في كون مدلولات هذه الأسماء ثابتة لله تعالى. ومن خلال أبيات عدة استدل على وحدانية الله تعالى فَيْئة ومتأثر بمدرسة وحدة الوجود فينة أخرى. أما بالنسبة للصفات وافق أهل السنة في صفات المعاني وأنها حقيقية قائمة بذاته، فأثبت العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والتكوين، كونها صفات حقيقية لله تعالى.
6. من خلال أبيات عدة نراه عارفا بالله وقابعا أمام خلواته وجلواته، متأثرا بعرفاء مدارس التصوف.
7. لعبت أبيات عقدية وكلامية دورا بارزا في محتوى حديثه عن الإليهات، وذلك بسبب إيجاد تفسير متكامل لوجود الخلق، وأن وجود هذه الأجوبة العلمية ينبع من أسئلة فلسفية بحتة وهي؛ إذا لم يحدث على الله أي تغير في ذاته كونه قديما وله جميع الصفات الجمالية والجلالية، فمن أين أتت تلكم المخلوقات؟ وما هو مصدرها؟ أليس الله تعالى انفعل؟! كلا؛ فليس له أن ينفعل. إلى آخر ما هنالك من الأسئلة التي لابد من إجابة لها، حيث أجاب عنها في مسألة الإرادة ولو مختصرا.
8. أنه من خلال أدبه الزاخر بالمفاهيم والمعارف الكلامية، ينشد صياغة إعلان عقدي وحسب المنهج الكلامي المتبع في عصره، كيما يتمسك به شعبه وأبناء جلدته؛ مما يدل على إحساسه بالواجب الديني وكيفية أدائه على الوجه المطلوب.

الهوامش

[1] خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان: محمد أمين زكي، ترجمة: محمد علي عوني، ط ٢، القاهرة 1939، ص 357-358. مێژووی ئەدەبی کوردی: علاءالدين سجادي، بەغدا، ١٩٧٠، چ ٢، ل ٢٤٠-٢٤٤. مێژووی ئەدەبی کوردی: مارف خەزنەدار، (چاپخانەی وەزارەتی پەروەردە، ئاراس، هەولێر ٢٠١٠)، (١/١١-١٢). جداول لتحويل السنوات الهجرية إلى السنوات الميلادية: يوسف ابگاروثيچ أوربلي، ترجمة: حسيم قاسم العزيز، (مجلة المورد، المجلد الثالث، العدد الرابع، بغداد 1974)، ص 9-13.

[2] استفدنا كثيرا لنقل هذه المعلومات من كتاب (نالى له بەڵگەنامەکانی عوسمانیدا "چەند زانیارییەکی تازە": هێمن خۆشناو، دەستنووسخانەی زانکۆی سۆران بۆ پاراستن و ساغکوردنەوەی دەستنووس، (نۆرەی چاپ یەکەم ٢٠١٧، ل ٥٢، ٥٤)، رقم الكود: SD-02254-00038-007، وثيقة الرقم (5).

[3] چەپکێك له گوڵزاری نالی: مەسعوود محەمەد، چاپخانەی کۆڕی زانیاری کورد، بەغدا ١٩٧٦، ل ٢٦، ٢٩.

[4] نالى: له بەڵگەنامەکانی عوسمانیدا: مرجع سابق، ل٣٠، ورقم الوثيقة العثمانية (4): رقم الكود SD-02254-00038-005

[5] ينظر: الصراع على كوردستان "المسألة الكوردية في العلاقات الدولية خلال القرن التاسع عشر": ن. آ. خالفين، ترجمة: أحمد عثمان أبوبكر، (ط1، جامعة بغداد – أكاديمية العلوم السوفيتية – موسكو 1963، مطبعة الشعب–بغداد)، ص 12_13. الشيخ معروف النودهي البرزنجي ، محمد الخال ، دار مطبعة التمدن - بغداد ، 5 . و تأريخ المعارف في كوردستان ، إبراهيم باجلان ، مقال منشور في جريدة العراق ،ع 1745، في 11/5/ 1981م .

[6] اقتصاد المجتمعات الكوردية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر: فلجيفسكي، "الأثنوغرافيا السوفيائية"، 1936، العدد 4_5.

[7] الصراع على كوردستان: مرجع سابق، ص 24-25. إلى ميزوبوتاميا وكردستان: سون، أي، ب، (ط1، لندن 1912)، ص 156.

8 مێژووی ئەدەبی کوردی: ص241. بنەماڵەی زانیاران: مەلا عەبدولکەریمی مودەڕیس، بڵاوکراوەی کتێبی کانی، چاپی یەکەم، ل 161. علماؤنا في خدمة العلم والدين: عبدالكريم المدرس، عني بنشره: محمد علي القرداغي، (ط1، 1983م)، ص 113.

[9] تاريخ السليمانية وأنحائها: محمد أمين زكي بك، ترجمة: محمد جميل الروزبياني، (ط٢، مطبعة وزارة الثقافة ٢٠٠٢)، ص ٢٧١-٢٧٣. مشاهير الكورد وكوردستان ، محمد أمين زكي، _دون مكان الطبع_ (٢٠١/١).

[10] هو عبدالله إبن الشيخ اسماعيل إبن الشيخ محمد، ولد بقرية خرپانى واليها نسبته، وهى واقعة في شمال قضاء حلبجة، توفى عام 1254هـ، ودفن بمقبرة خرپانى. تأريخ مشاهير كورد، روحانى بابا مردوخ، (ط1، إنتشارات سروش – طهران سنة 1371)، ص480.

[11] تاريخ السليمانية: مرجع سابق، ص 281

[12] المفتي الزهاوي: محمد أمين فيضي بن الأمير أحمد بگ، بن حسن بگ، بن رستم بگ، بن كيخسرو بگ، بن الأمير بابا سليمان جد الأسرة البابانية، ولد سنة 1207هـ 1797م في قرية (زهاو–زهاب) وإليها نسب، درس في السليمانية عند الشيخ المعروف النودهي وعلماء آخرين، وتخرج على يديه الكثير من التلاميذ وقد مدحه الشعراء والكتاب بعد أن كان عالما كبيرا ومحدثا مفسرا صلب العقيدة قوي الحجة، وله موهبة فائقة في النثر والنظم، توفي في بغداد سنة 1890م/1308هـ.. أنظر: محمد فيضي الزهاوي نبذة عن حياته وشيء من آثاره: محمد علي القرداغي، (ط1، مطبعة ئاراس _ أربيل، 2004م)، ص17_19.

[13] تاريخ السليمانية: مرجع سابق، ص 278-279

[14] هو من عشيرة الجاف الميكايلي، ينتهي نسبه الى الولي الكامل پير ميكائيل. ولد سنة 1193 هـ - 1779م في ناحية قرداغ بمحافظة السليمانية، أخذ العلوم العقلية والنقلية من نوابغ علماء كوردستان، وأخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ عبدالله الدهلوي, توفي بالطاعون ليلة الجمعة رابع عشر ذي القعدة، سنة1242هـ-1826م، ودفن في الصالحية. مشاهير الكورد وكوردستان ، مرجع سابق، (2/184-196).

[15] سالم: هو عبدالرحمن بن محمد بگ بن أحمد بگ صاحيّبقران المعروف بسالم، ولد في السليمانية سنة 1800م، وله ديوان شعر باللغة الكوردية طبع في بغداد سنة 1931م، توفي رحمه الله سنة 1866م، ودفن في مقبرة (سەيوان). أنظر: ئەنجومەنی ئەدیبان: أمين فيضي بگ (ت1928م)، (چ١، مطبعة المجمع العلمي الكوردي - بغداد، سنة النشر: 1403هـ- 1983م)، ص 26.

[16] كوردى: هو مصطفى بن محمود بگ بن أحمد بگ؛ من أسرة صاحيّبقران المشهورة بالسليمانية، ولد في السليمانية سنة 1227هـ -1812م، كان أديبا وشاعرا عظيما ومتمرسا في الأدب الفارسي والعربي والتركي، إختار لنفسه لقبين: الأول: كوردي، والثاني هيجري، ومن أشهر شعراء اللهجة الكرمانجية الجنوبية في القرن التاسع عشر، طبع ديوانه أكثر من مرة طبعات غير محققة وغير مشروحة، توفي رحمه الله سنة 1268هـ- 1851م، ودفن في مقبرة سەيوان. أنظر: ئەنجوومەنی ئەدیبان: مرجع سابق، ل 25-26.

[17] نالیی له ڕوانگەی سەپان کوردییەوە: عبدالحمید حوسێنی، (چ ١، چاپخانەی بیانیی – سلێمانی، ٢٠١٣)، ل 63

[18] مشاهير الكورد وكوردستان: ص 348

[19] نالیی له ڕوانگەی سەپان کوردییەوە: مرجع سابق، ل 63

20 ينظر: العقيدة اليهودية بين الوحي الالهي والفكر البشري: د. محمد محمد عيسى (مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، م: 22، العدد: 68، مارس2007)، ص 344. والموقع الإلكتروني: https://ar.wikipedia.org/wiki

21 مبادئ العقيدة الإسلامية: د. مصطفى الخن، (ط9/ طبعته جامعة دمشق- كلية الشريعة 1416هـ-1996م)، ص87. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: للشنقيطي (ت1393هـ)، (ط2/ دار الفكر-بيروت 1415هـ- 1995م)، (2/23).

[22] دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية: عرفان عبدالحميد، (ط2، دار التربية، مطبعة أسعد – بغداد، 1977م)، ص231 .

[23] ملاحظتان لابد منهما، **الأولى**: إننا نقوم فحسب -وعلى مسار الدراسة هذه – بالإشارة إلى رقم الصحفة من هذا الديوان بالإضافة إلى رقم البيت المذكور في الصفحة نفسها على هذا الشكل مثلا: (ل209، ب2) أي: صفحة 209، بيت 2.

الثانية: سنقوم فيما بعد بكتابة رمز (م. ع. م) في معرض الإشارة إلى كلامه حول موضوع متعلق بأبيات نالي؛ لأن اسمه طويل يصعب تكراره دوما.

[24] ديواني نالى - مەلا خدر ئەحمەد شاوەیسی میکایەلّی، لێکۆڵینەوە و لێکدانەوەی: مەلا عەبدولکەریمی مودەڕڕیس و فاتیحی مەلا کەریم، پێداچوونەوەی: محەمەدی مەلا کەریم، (چ١/ ١٣٨٨هەتاوی، نشر: آنا، ناوەندی بڵاوکردنەوەی سنه - سنندج)، ل٦٢، بەیتی ٣. ل 59

[25] سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت275هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط1/ المكتبة العصرية–بيروت)، باب الدعاء، (79/2) رقم الحديث: (1495)

[26] التعريفات: للجرجاني، (دار الكتب العلمية طهران، ط1، 1306هـ، المطبعة الخيرية- مصر، ص 74. شرح الرسالة التدمرية" للشيخ عبد الرحمن البراك)، ص 18

[27] شرح الدواني: جلال الدين بن محمد بن أسعد الصديقي الدواني، (ت 907هـ وقيل 918هـ)، التزم طبعه: الشيخ حسن الرافعي، والفاضل الهمام خير الصبحي والشيخ أحمد الليثي الكتبي، تم طبعها بالمطبعة ذات الفخامة؛ إحدى مطابع مصر بكوم الشيخ سلام أواخر ذي الحجة الحرام، ص 137.

[28] بحر الكلام، للإمام أبي المعين محمد بن ميمون النسفي (ت 508هـ)، تحقيق: محمد السيد البرسيجي، دار الفتح للدراسات والنشر، ط1، 1435هـ-2014م، ص 149. شرح الدواني على العقائد العضدية، مرجع سابق، ص 138.

[29] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، 1416 هـ - 1996م، (1/497).

[30] نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي سامي النشار، (ط8/ دار المعارف- القاهرة)، (3/44). فصوص الحكم: ابن عربي (ت 638 هـ) بقلم أبي العلا العفيفي، (ط2، مكتبة دار الثقافة، العراق، نينوى، 1409هـ-1989م)، ص 25.

[31] شعر التصوف بين الأدبين العربي والكوردي: عبد الوهاب عبدالله الجروستاني، (ط1، 2009، مطبعة رون، مديرية الطباعة والنشر، السليمانية)، ص414.

المصادر والمراجع:

1. ئەنجومەنی ئەدیبان: أمين فيضي بگ (ت1928م)، (چ١، مطبعة المجمع العلمي الكوردي - بغداد، سنة النشر: 1403هـ- 1983م).
2. اقتصاد المجتمعات الكوردية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر: فلجيفسكي، "الأثنوغرافيا السوفيائية"، 1936، العدد 4_5.
3. إلى ميزوبوتاميا وكردستان: سون، أي، ب، (ط1، لندن 1912).
4. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: للشنقيطي (ت1393هـ)، (ط2/ دار الفكر-بيروت 1415هـ- 1995م).
5. بحر الكلام، للإمام أبي المعين محمد بن ميمون النسفي (ت 508هـ)، تحقيق: محمد السيد البرسيجي، دار الفتح للدراسات والنشر، ط1، 1435هـ- 2014م.
6. بنەماڵەی زانیاران: مەلا عەبدولکەریمی مودەڕڕیس، بڵاوکراوەی کتێبی کانی، چاپی یەکەم.
7. تأريخ المعارف في كوردستان ، إبراهيم باجلان ، مقال منشور في جريدة العراق ،ع 1745، في 11/5/ 1981م.
8. تاريخ السليمانية وأنحائها: محمد أمين زكي بك، ترجمة: محمد جميل الروزبياني، (ط٢، مطبعة وزارة الثقافة ٢٠٠٢).
9. تاريخ مشاهير كورد، روحانى بابا مردوخ، (ط1، إنتشارات سروش – طهران سنة 1371).
10. التعريفات: للجرجاني، (دار الكتب العلمية طهران، ط1، 1306هـ، المطبعة الخيرية- مصر، ص 74. شرح الرسالة التدمرية" للشيخ عبد الرحمن البراك).
11. جداول لتحويل السنوات الهجرية إلى السنوات الميلادية: يوسف ابكاروثيچ أوربلي، ترجمة: حسيم قاسم العزيز، (مجلة المورد، المجلد الثالث، العدد الرابع، بغداد 1974).
12. خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان: محمد أمين زكي، ترجمة: محمد علي عوني، ط ٢، القاهرة 1939.
13. دراسات في الفرق الإسلامية: عرفان عبدالحميد، (ط2، دار التربية، مطبعة أسعد – بغداد، 1977م).
14. ديواني نالى مەلا خدر ئەحمەد شاوەیسی میکایەلّی، لێکۆڵینەوە و لێکدانەوەی: مەلا عەبدولکەریمی مودەڕڕیس و فاتیحی مەلا کەریم، پێداچوونەوەی: محەمەدی مەلا کەریم، (چ١/ ١٣٨٨هەتاوی، نشر: آنا _ سنندج).
15. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت275هـ)، المحقق: محمد محيي

الدين عبد الحميد، (ط1/ المكتبة العصرية–بيروت).
16. شرح الدواني: جلال الدين بن محمد بن أسعد الصديقي الدواني، (ت 907هـ وقيل 918هـ)، التزم طبعه: الشيخ حسن الرافعي، والفاضل الهمام خير الصبحي والشيخ أحمد الليثي الكتبي، تم طبعها بالمطبعة ذات الفخامة؛ إحدى مطابع مصر بكوم الشيخ سلام أواخر ذي الحجة الحرام.
17. شعر التصوف بين الأدبين العربي والكوردي: عبد الوهاب عبدالله الجروستاني، (ط1، 2009، مطبعة رون، مديرية الطباعة النشر، السليمانية).
18. الصراع على كوردستان "المسألة الكوردية في العلاقات الدولية خلال القرن التاسع عشر": ن. آ. خالفين، ترجمة: أحمد عثمان أبوبكر، (ط1، أكاديمية العلوم السوفيتية، موسكو 1963، مطبعة الشعب– بغداد).
19. علماؤنا في خدمة العلم والدين: عبدالكريم المدرس، عني بنشره: محمد علي القرداغي، (ط1، 1983م).
20. العقيدة اليهودية بين الوحي الالهي والفكر البشري: د. محمد محمد محمد عيسى (مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، م: 22، العدد: 68، مارس2007).
21. فصوص الحكم: ابن عربي (ت 638 هـ) بقلم أبي العلا العفيفي، (ط2، مكتبة دار الثقافة، العراق، نينوى، 1409هـ- 1989م).
22. مبادئ العقيدة الإسلامية: د. مصطفى الخن، (ط9/ طبعته جامعة دمشق- كلية الشريعة 1416هـ-1996م).
23. محمد فيضي الزهاوي نبذة عن حياته وشيء من آثاره: محمد علي القرداغي، (ط1، مطبعة ئاراس _ أربيل، 2004م).
24. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، 1416 هـ - 1996م.
25. مشاهير الكورد وكوردستان ، محمد أمين زكي، _دون مكان الطبع_
26. الشيخ معروف النودهي البرزنجي: محمد الخال، (دار مطبعة التمدن_ بغداد).
27. میژووی ئەدەبی کوردی: علاءالدین سجادي، چ٢، بەغدا، ١٩٧٠.
28. میژووی ئەدەبی کوردی: مارف خەزنەدار، (چاپخانەی وەزارەتی پەروەردە، ئاراس، هەولێر ٢٠١٠).
29. نالی له بەڵگەنامەکانی عوسمانیدا: هێمن خۆشناو، دەستنووسخانەی زانکۆی سۆران بۆ پاراستن و ساغکردنەوەی دەستنووس، (چ١، ٢٠١٧)، الکود:SD-02254-00038-007، وثيقة الرقم (5).
30. نالیی له ڕوانگەی سەپان کوردییەوە: عبدالحمید حوسێنی، (چ ١، چاپخانەی بیانیی – سلێمانی، ٢٠١٣).
31. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي سامي النشار، (ط8/ دار المعارف- القاهرة).